

- ١١ -

ان المدخل الطبيعي الى هذا الموضوع يمكن تحديده من خلال طرح أكثر من سؤال تتصل ببعضها في مجموعها ، وتتشابه وتعود فتلتقى في النهاية ، حول الغرض المحدد نفسه ، وهو اثبات أن لنا في الجاحظ - نحن أرباب مهنة الصحافة بعضا مما لرجال الأدب وأضيف ، ومثل مجموع ما لرجال الدراسات الاسلامية واللغوية ، والفلسفية والعلمية في تراث هذا الرجل أيضا ٠٠ بل ربما تفوق ما لنا فيه ، على ما لهؤلاء ، حتى يمكننا أن نتقاسمه نحن والأدباء سواء بسواء ٠٠

ذلك كله قبل أن ندل على مثلها ، بالأقوال والأفعال ، لمعاصريه ، أو لعاصرنا ، أو من خلال مؤلفاته ومؤلفاتهم ، المعروف منها ، وغير المعروف ٠٠

فهل كان ما قدمه الجاحظ للمكتبة العربية هو من جنس مسادة الأدب فقط ؟ أو كان أدبا فقط ؟ حتى يقال عنه ، كما عرف دائما ، انه أديب العربية الكبير ، أو الأكبر ، أو أنه يعتبر واحدا من أدبائها الأقدان ٠٠ وأقول : من أدبائها فقط ؟

أم ان هذه الصفة الأدبية قد طغت عليه طغيانا ، والتصقت به التصاقا ، حتى كادت تذوب معها ، أو تنصهر في بوتقتها أو تختفي في ظلها صفاته الأخرى العديدة وخصائصه الفريدة ، واتجاهاته الشمولية الواضحة ؟

مع أن هذه الصفات الأخرى ، وتلك الخصائص التي لازمتها وعرف بها ، وكانت علما عليه ، معروفة تماما ، وواضحة للعيان ، ولا تستطيع أن تتجاهلها عين الخبير بمجرد القاء النظر وأعمال الفكر في هذا التراث الجاحظي نفسه، المطبوع وغير المطبوع ، لا سيما عندما تنظر إليها هذه العين ، نظرة حياد كاملة ، بعد أن تضعها في ضوء معطيات العلم ، التي تقرر ما لهذا العلم ، وما لغيره ، وبمراعاة الظروف السائدة ٠

أقول ٠٠ كان الجاحظ - بتناجه وأثاره - أديبا وصحفيًا وباحثًا وعالمًا، بل وأقول أنه كان فيلسوفا أيضا ، كان كل هؤلاء معا ، وكان أكثر من كل هؤلاء ، اجتمعوا جميعا في شخصه ، واتفق اجتماعهم عليه ، وكانوا من مكوناته ، أو من معالم شموليته ٠٠